شبـه الجزيرة العربية كم

بعثة علمية لنيقولا بوجوبافلينسكي

...راها الروس من ١٨٠٠ إلى ١٩٥٠م

...لى الخليج العربي في سنة ١٩٠٢

بقلم :

الدكتور جينادي جورياتشكين

تعتبر الرحلة التي قام بها موظف المتحف الجيولوجي التابع لجامعة موسكو نيقولا فاسليافيتش بوجويافلينسكي من أطرف وأشهر رحلات الروس إلى شبه الجزيرة العربية في الفترة ما بين ١٨٠٠ - ١٩٥٠ . علاوة على ذلك، فإنه أتم هذه الرحلة في ربوع الشاطئ الشرقي لشبه الجزيرة العربية الذي كان الرحالة يزورونه بدرجة أقل نسبيا بالمقارنة مع الشاطئ الغربي .

وقد نُظِّمت رحلة ن. بوجويافلينسكي في سنة ١٩٠٢على أساس "المبالغ البسيطة" بهدف جمع عدد كبير من الحيوانات البحرية في منطقة لم يزرها أحد من الجيولوجيين من قبل[٢] . واستمرت هذه الرحلة من مارس إلى مايو عام ١٩٠٢ .ومن أجل تنفيذ هذا المشروع أنشئت لجنة خاصة كان ن. بوجويافلينسكي سكرتيراً لها . ولما كانت

الرحلة تتجه إلى مكان كان مجهولاً بالنسبة للعلماء الروس فإن الفرع الجيولوجي لجمعية هواة علم الطبيعة وعلم الإنسان والإثنوجرافيا قد وجه إلى القنصلية الروسية في بوشهر خطاباً طلب فيه تقديم بعض المعلومات اللازمة لتجهيز وإعداد ن. بوجويافلينسكي للعمل هناك .

وهذا الخطاب كان يشمل الأسئلة الآتية :

١) في أي شهر من الربيع أو الصيف تسمح الظروف الطقسية بالعمل هناك ؟

٢) هل يمكن للمرء أن يأمل، بمساعدة القنصلية الروسية وأن يجد مترجماً وفي نفس الوقت مرافقاً دائماً لكي يستطيع أن يقدم المساعدة اللازمة في أي وقت وعند أي مشكلة مع السكان المحليين ؟ وبدلاً من اللغة الروسية يمكن للمترجم أن يعرف اللغة الفرنسية أو الألمانية أو الإنجليزية . وما هي تكاليف خدماته التقريبية في اليوم ؟

٣) في أية بقعة من الخليج توجد أماكن صيد اللؤلؤ وكيف يمكن زيارة هذه الأماكن ؟ .

٤) هل يمكن شراء الكحول لمعالجة الحيوانات المائية في نفس المكان أم يجب إحضاره من بومباي ؟ إذ ليس من الأفضل إحضار الكحول من موسكو مباشرةً ؟

٥) وهل يستحسن إحضار النقود تحويلاً عن طريق أي بنك دولي أو إحضارها على شكل عملة ذهبية روسية أو إنجليزية(٣) .

وقد أجاب القنصل الروسي في بوشهر أفسيينكو في مذكرته في التاسع من يناير ١٩٠٢ :

١ - أن الظروف الطقسية للخليج يمكن اعتبارها ملائمة للأعمال الجيولوجية العلمية في موسم الشتاء فقط الذي يستغرق هنا تقريباً ستة شهور، من أكتوبر إلى مارس . ولا يمكن أن ينفذ بالكاد عمل جدي في الربيع (إبريل - مايو) أو في الخريف (أغسطس - سبتمبر) . أما في الصيف فالعمل أثناءه مستحيل .

٢ – إن إيجاد مترجم أو مرافق دائم للرحلات والتنقلات العلمية هنا، وإن كان صعباً ولكنه ممكن . ومن الضروري أن تُخَصَّص للمترجم والمرافق الأمين في حدود ثلاثة روبلات يومياً .

٣ – ويمكن اصطياد واستخراج اللؤلؤ بصورة أساسية من جزر البحرين وكذلك من الجزر الواقعة في قطاع مدينة لينجه . والراغبون في مشاهدة عملية الاصطياد هذه يمكنهم أن يركبوا الباخرة لكي يتوجهوا إلى لينجه أو إلى جزر البحرين وبعد ذلك ينتقلون على زورق شراعي إلى الجزر القريبة .

٤ – لا يوجد كحول في بوشهر ولكن يمكن إحضاره من بومباي ويصل بعد خمسة أسابيع من وقت طلبه . وإذا وصل العالم الجيولوجي على متن الباخرة (الروسية) فلابد أن يأخذ الكحول معه إلى موسكو .

٥ – إن الاحتياطات النقدية يجب إحضارها إلى بوشهر ذهباً (جنيهات استرليني وليس عملة روسية) أو أوراق نقدية لكريدي ليوني (Crédit Lionnais) لتحويلها في البنوك الإيرانية، في بوشهر، أو أصفهان أو شيراز .

٦ – وأخيراً فيما يختص بمساعدتنا من قِبَل القنصلية العامة التي أقوم بإدارتها فسوف أقوم أنا بها بكل ارتياح وبشكل ملائم[٤] .

إن الصعوبات التنظيمية لم تسمح لـ ن. بوجويافلينسكي بالوصول إلى المنطقة في المواعيد الجوية الملائمة والتي أوضحها له القنصل أفسيينكو لتنفيذ المهام المحددة له . لكنه كان يعمل "بجدية" وفي "وقت صعب" .

وقد جمع ن. بوجويافلينسكي خلال رحلته ونقل مجموعة كبيرة من الحيوانات البحرية إلى المتحف الجيولوجي لجامعة موسكو ولكن للأسف، لم تخصص المبالغ الكافية لمعالجة هذا القطيع ، وقد عرض جزء قليل من الحيوانات في المتحف الجيولوجي[٥] والباقي مازال حتى الآن في متحف جامعة موسكو بالمبنى القديم أمام الكريملين .

إلى جانب ذلك قام ن. بوجويافلينسكي بالتقاط كثير من الصور

لأشخاص ومناظر طبيعية من الخليج[٦].
وحسب كلمات زميله نيقراسوف، فإن عمليات التصوير الكثيرة التي قام بها بوجويافلينسكي في شبه الجزيرة العربية كان يمكن أن تعرضه لخطر شديد إذ أن الإنجليز كانوا يظنونه يتجسس لصالح روسيا. وكما نرى في رسائله الثلاث، فإن الإنجليز كانوا يضعون له عراقيل كثيرة إذ أوقفوا حقائبه في الجمرك، وعطلوه في استئجار بيت في البحرين وأجلوا أكثر من مرة موعد لقائه مع شيخ البحرين الشيخ عيسى . . الخ[٧]. وكان العالم يتعرض للصعوبات والخطر عندما كان يعبر في مركب صغير في العاصفة الشديدة، ومعه قطيع كامل من الحيوانات المختلفة يعبر من الشاطئ العربي إلى الشاطئ الفارسي من الخليج[٨].

أخيراً، إلى جانب المحمرة والبحرين والكويت ومسقط حيث كان حكامها يستقبلونه، زار ن. بوجويافلينسكي شيخ إحدى جزر الخليج كان يملك حقول اللؤلؤ الشاسعة[٩].

وبلا شك، فإن كل ما رآه في شبه الجزيرة العربية كان ن. بوجويافلينسكي يستخدمه في الندوات والمحاضرات أمام طلاب جامعة موسكو.

لكن أكبر وأهم ثمار حصل عليها هذا العالم الجيولوجي كانت لقاءاته ومعاشرته مع الأهالي والشيوخ في شبه الجزيرة وهي تعتبر بداية للديالوج التحضري - الثقافي بين ممثلين عن شبه الجزيرة العربية والروس[١٠].

من الطبيعي، أننا لا نؤيد قول ن. بوجويافلينسكي من أنه "كان أول روسي عاش في البحرين"[١١]، لكنه كان أول عالم جيولوجي روسي، والأول من بين العاملين بجامعة موسكو الذي زار هذه الأماكن النادرة جداً بالنسبة للسياح والرحالة الروس. كما كان من الطبيعي أنه ساهم مساهمة فعالة في البداية الجديدة للتعارف والتقارب بين أهل الجزيرة العربية والروس.

قال البروفيسور نيقراسوف في رثائه بمناسبة وفاة ن. بوجويافلينسكي أنه _أي الأخير- "كان ضيفاً عند الشيوخ العرب على الشاطئ العربي الذين كانوا

مهتمين جداً بوصول السائح من روسيا العظمى والبعيدة؛ كانوا يضيِّفونه ليس فقط بالقهوة وهي المشروب التقليدي في هذا البلد لكن رمزاً للشرف المتميز الخاص كانوا يضيِّفونه "بالمشروب الذهبي" -أي الشاي(١٢) .

أما بوجويافلينسكي نفسه فقد سمى معاملة الشيوخ العرب تجاهه "ضيافة وحفاوة فوق العادة" لكنه اعتبر أن هذه المعاملة ليست له شخصياً ولكن لبلده الذي كان هو ممثلاً له - روسيا العظمى(١٣) .

رغم عدم رضاء السلطات البريطانية - كان ن. بوجويافلينسكي قد التقى بشيخ البحرين الشيخ عيسى وبذلك شق ثغرة في احتكار النفوذ الإنجليزي بالنسبة لهذا البلد في ذلك الحين . فكتب ن. بوجويافلينسكي أن البحرينيين كانوا على استعداد أن يطوروا علاقاتهم مع روسيا، بمشاهدة السفن التجارية الروسية على جزر البحرين، كانوا يهتمون بموقف روسيا من تركيا ومعرفة حياة الروس المسلمين . فكانوا متأثرين بالدعاية الإنجليزية وكانوا يعتقدون أن الروس يفرقون في المعاملة بين الروس والمسلمين ويجبرونهم على أن يعتنقوا المسيحية(١٤) .

للأسف، كل الصلات التي أقامها ن. بوجويافلينسكي لم تتطور في ذلك الوقت .

لقد كتب العالِم عن التأثير العميق على الشيوخ العرب عندما رأوا خريطة العالَم التي كانت مع ن. بوجويافلينسكي وشاهدوا حجم روسيا ومساحتها الشاسعة . وعند الأحاديث مع الشيوخ شعر الجيولوجي بالاحترام والتعاطف الكبيرين لروسيا مع عدم رضاهم الملحوظ بالنسبة للإنجليز وكذلك - طبقاً لأقواله - "رغبة عامة لرؤية القوة العسكرية الروسية حتى ولو سفينة روسية حربية واحدة في مياه الخليج . كما كانوا يرغبون أن تكون هناك علاقات وثيقة بين الشيوخ والقنصلية الروسية في بوشهر(١٥) .

مع توديع ن. بوجويافلينسكي عبَّر حاكم الكويت الشيخ مبارك عن رجاء واحد : "اعملوا من أجلي شيئاً واحداً فقط، إذا استطعتم، أبلغوا جلالة

الإمبراطور في بطرسبورج أنني صديق للروس وأعتبرهم إخواني" (١٦)، ومن الطريف أن واحداً من البحرينيين (محمد عبد الوهاب) عند توديع العالم الروسي الذي كان قد اشترى له بيتاً للسكن وللقيام بالبحوث العلمية أعلن أن هذا البيت سيبقى دائماً مخصصاً لاستقبال الروس الذين سيصلون إلى البحرين (١٧).

فيما يختص بباقي انطباعات ن. بوجويافلينسكي عن رحلته للخليج فسوف يطّلع عليها القارئ في رسائله القصيرة ذات المعاني الكثيرة والعميقة.

على كل حال -كما يبدو لنا- فإن رسائل ن. بوجويافلينسكي هي شهادات قيِّمة تعبر عن لمسات وصِلات أولية بين الروس والمنطقة. وهذه الصلات الأولية كانطباعات أولى، هي دائماً صادقة، مخلصة وموضوعية.

أ.د. جورياتشكين كينادي

الهوامش

١ – ولد نيقولا فاسيليافيتش بوجويافلينسكي في مدينة ريازان في وسط روسيا في سنة ١٨٧٠ . وبعد تخرجه في المدرسة الثانوية التحق بفرع العلوم الطبيعية لجامعة موسكو التي تخرج فيها سنة ١٨٩٤ . وفي نفس الوقت بدأ العمل في المتحف الجيولوجي لجامعة موسكو . ابتداءً من سنة ١٨٩٥ كان ن. بوجويافلينسكي يقوم برحلات كثيرة إلى بلدان آسيا وأوروبا وإفريقيا وجمع أثناء هذه السفريات المادة الجيولوجية الفنية والتقط كثيراً من الصور الفوتوغرافية وكان يعمل في أكبر المعامل البيولوجية في إيطاليا وفرنسا وألمانيا وإنجلترا الخ . . . . وكان العالم الجيولوجي يهتم بالشرق والثقافة الشرقية ولذلك زار الصين وإيران وتونس ومصر وتركيا والهند وسيلان، وأخيراً، في مارس – مايو ١٩٠٢ قام برحلته إلى الخليج العربي . البروفيسور نيقراسوف الذي رافق ن. بوجويافلينسكي مراراً في رحلاته يقول : "لا أستطيع أن أنسى كيف تعطّش للانطباعات عن مناطق ومدن جديدة، أماكن أثرية وتماثيل فنية ؛ كان يحاول أن يحتفظ بهذه الانطباعات بواسطة التقاط صور فوتوغرافية عديدة" (مذكرات المعمل الجيولوجي لجمعية هواة علم الطبيعة وعلم الإنسان والإثنوجرافيا في بولشيفو بمديرية موسكو، ١٩٣٠، عدد ٤، ص ١٤) .

بعد أن جمع مواد كافيةً بدأ ن. بوجويافلينسكي يلقي محاضرات وأصبح أستاذاً مساعداً في جامعة موسكو .

في ١٩٠٦ ناقش رسالة ماجستير وسافر إلى نابولي للعمل في الإعداد لرسالة الدكتوراه . وكانت مسائل الوراثة تشغل بال ن. بوجويافلينسكي . وشجعت الإنجازات الجبارة في تطور الأجهزة الميكروسكوبية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين على تعجيل دراسة الوراثة وميكانيزمها . وكرست أبحاث ن. بوجويافلينسكي لمسائل التناسل اللاجنسي . ولذلك كان عنوان رسالة الدكتوراه "المواد لدراسة تكوُّن البيضة" .

وفي عام ١٩١٣ رأس قسم علم الأنسجة وعلم الأجنة . وفي سنة ١٩١٤ نال لقب بروفيسور لجامعة موسكو . عام ١٩١٩ أنشأ ن. بوجويافلينسكي معملاً بيولوجياً في بلدة بولشيفو قريباً من موسكو . وبفضل مساعي ن. بوجويافلينسكي أصبح هذا المعمل مؤسسة ذات سيادة تتبع لوزارة التعليم العالي السوفييتية مباشرةً . وكان يرأسها أكثر من عشر سنوات ويقوم بتجارب علمية في مجال علم الأنسجة وعلم الأجنة وفي نفس الوقت كان يسافر داخل وخارج البلاد بسبب الهدف العلمي وعلى

مدى أعوام عديدة كان ن. بوجويافلينسكي عضواً عاملاً للجنة الاجتماعية في مكتبة جامعة موسكو ورئيساً للفرع البيولوجي في مكتبة الدولة المركزية المعروفة بإسم لينين في موسكو .

وفي سنة ١٩٢٩ بسبب تدهور صحته ترك التدريس في جامعة موسكو وبقي رئيساً للمعمل في بولشيفو . توفى ١٤ يوليو سنة ١٩٣٠ .

٢ – مذكرات المعمل الجيولوجي لجمعية هواة علم الطبيعة وعلم الإنسان والإثنوجرافيا في بولشيفو بمديرية موسكو ١٩٣٠، عدد ٤، ص ١٥ .

٣ – أرشيف سياسة روسيا الخارجية (أ. س. ر. خ.)، الصندوق ١٤٧ . قنصلية بوشهر . القائمة ٦٢٣، إضبارة ٣، ١٩٠١ – ١٩٠٢، الصحيفة ٤ – ٥ .

٤ – المصدر السابق، الصحيفة ٧ – ٨ .

٥ – مذكرات المعمل في بولشيفو، ص ١٥ .

٦ – في المرحلة الأولى من هذا البحث عن البيانات حول زيارة ن. بوجويافلينسكي لشبه الجزيرة العربية حاولنا الحصول على بعض هذه الصور . وبشكل عام، المعاصرون كانوا يؤكدون أنه كان يصور بشكل محترف وكان يُحضر من كل رحلاته عدداً كبيراً من الصور الفوتوغرافية .

٧ – أنظر رسالة رقم ١ .

٨ – مذكرات المعمل في بولشيفو، ص ١٥ .

٩ – وانعكس وجود ن. بوجويافلينسكي على هذه الجزيرة في مقالة "صناعة صيد واستخراج اللؤلؤ على جزيرة البحرين" المنشور في إحدى المجلات العلمية . وتوجد مقالة أخرى كتبها ن. بوجويافلينسكي : "في ربوع شواطئ الخليج العربي" وهي منشورة على صفحات جريدة "روسكيا فيدوموستي" (الأخبار الروسية) .

١٠ – نشير، ونحن لا نتعمق في السياسة في هذه المقالة، نشير مع ذلك أنه في حدود ما بين القرنين ١٩ – ٢٠ بدأت روسيا تقوم "بنهج سياسي جديد" في منطقة الخليج العربي . وكان عبارة عن إنشاء القنصليات الروسية في البصرة وبوشهر، وإقامة الخط الملاحي المباشر من روسيا إلى الخليج العربي، وإنشاء بنك في بوشهر و . . الخ أنظر بالتفصيل عن ذلك : ا. ب. سينشينكو . "الخليج الفارسي : نظرة عبر مائة سنة" . موسكو، ١٩٩١، ص ٢٥ – ٤٣ .

١١ – نعتقد أن واحداً من أوائل الروس الذين زاروا الشاطئ الشرقي لشبه الجزيرة العربية كان تاجراً من مدينة تفير الروسية الواقعة على نهر الفولجا واسمه أفاناسي نيفيتين الذي توقف في مسقط . وقام برحلة إلى الهند في الفترة من ١٤٦٦ – ١٤٧٢ . وكتب في يومياته : "وفي مسقط قضيت عيد الفصح

السادس" . وحدث ذلك في اليوم العاشر من إبريل سنة ١٤٧٤ - "رحلة افاناسي نيفيتين عبر ثلاثة بحار" . لينينجراد ١٩٨٦، ص ٥٢، ١٥٧ . ومن المفترض أن أفاناسي نيفيتين زار جزر البحرين إذ على بعض الصفحات من يومياته يذكر صيد اللؤلؤ في البحرين حيث، حسب تعبيره، "الجو حار جداً" - نفس المصدر، ص ١٦٩ .

١٢ - مذكرات المعمل في بولشيفو، ص ١٥ .

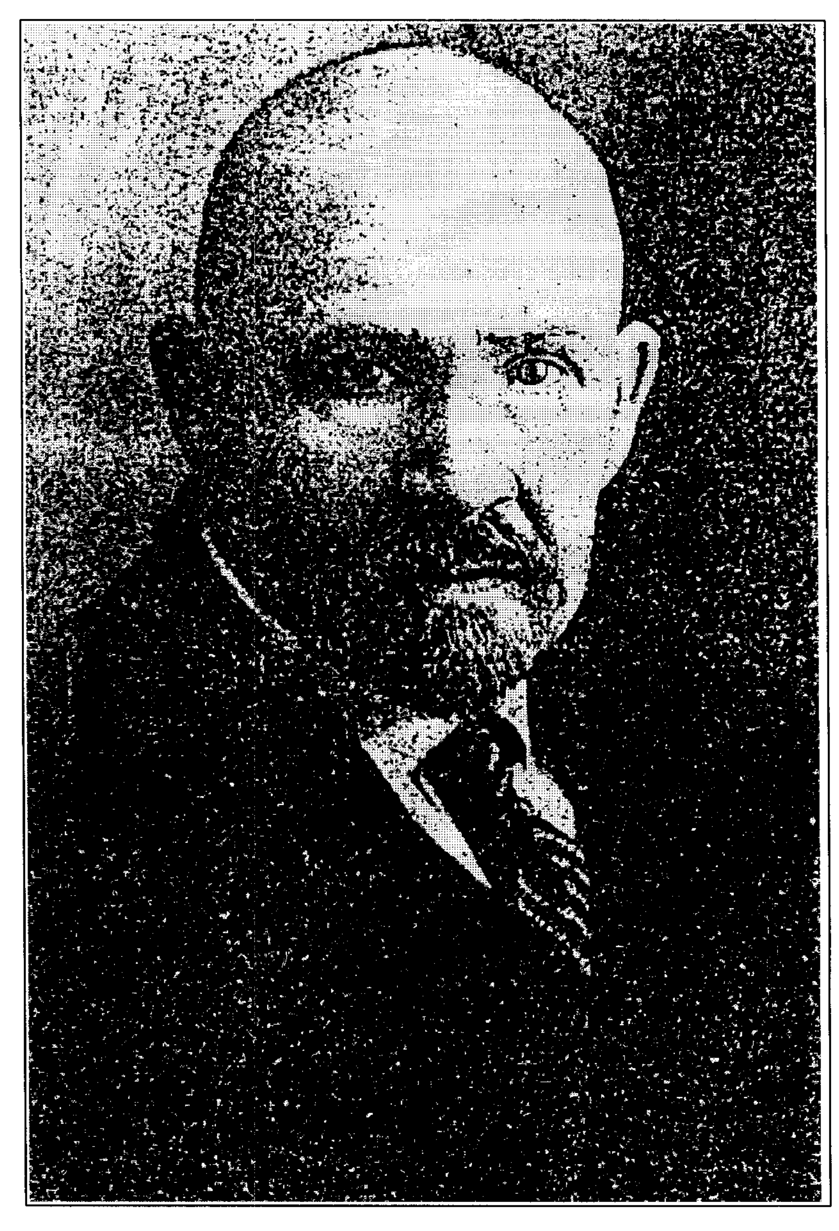
١٣ - رسالة رقم ١ .

١٤ - رسالة رقم ٣ .

١٥ - رسالة رقم ٢ .

١٦ - نفس المصدر .

١٧ - رسالة رقم ١ .



نيقولا بوجويا فلينسكي

ثلاث رسائل لنيقولا بوجويافلينسكي

الرسالة الأولى

إلى القنصلية العامة للإمبراطورية الروسية

بالخليج العربي في مدينة بوشهر

توجهت في شهر إبريل عام ١٩٠٢ إلى جزر البحرين وبحوزتي رسالة توصية استلمتها عن طريق رئيس القنصلية العامة للإمبراطورية الروسية في بوشهر غ.ف. أفسيينكو وموجهة إلى الشخصية المعروفة على الشاطئ العربي – الشيخ محمد عبد الوهاب باشا، والذي يقيم بشكل دائم في دارين وكثيراً ما يحضر إلى البحرين .

وصادف وصولي أن كان هذا الشخص المشار إليه في البحرين فتوجهت فوراً إليه .

استقبلني الشيخ محمد عبد الوهاب بلطف شديد وقرأ الرسالة، ثم اعتذر بأنه لا يوجد عنده في الوقت الحاضر مكان يليق تماماً بالضيف الروسي ولكن هناك غرفة في عنبره (عنبر القوافل) يمكن أن أقيم فيها عدة أيام ريثما يجد لي مكانا آخر أفضل منه .

وقبل أن يوصلني الشيخ إلى الغرفة التي خصصت لي مؤقتاً كان يجب طلب الأمتعة من الجمارك والتي كان يرأسها في البحرين هندي – إنجليزي الجنسية . ولكن في الوقت الذي كانت فيه أمتعتي لا تزال في الجمارك وأنا موجود عند الشيخ محمد عبد الوهاب قام ممثل القنصل الإنجليزي في البحرين المستر جاسكين بإرسال من يطلب عبر موظفيه إلى سلطات الجمارك عدم السماح بإخراج أمتعتي بدون تفتيشها .

عندها قام الشيخ محمد عبد الوهاب بمساعدتي، فعندما سمع بذلك، قام من فوره بإرسال شخص إلى الجمارك يبلغ رفضه رغبة ممثل القنصل الإنجليزي بفتح أمتعتي. وتم كل شيء بعد ذلك على ما يرام، واستلمت كل أمتعتي بدون تفتيش.

الغرفة التي خصصها لإقامتي الشيخ محمد عبد الوهاب، كانت في عنبر القوافل الذي يملكه. وكانت مكاناً جيداً – مثل غرفة في فندق روسي –، ليس في الشرق الأوسط فقط وإنما في أية مدينة أوروبية. وقمت بالتعبير عن رضائي التام عن الغرفة وطلبت أن يسمح لي بالبقاء فيها خلال فترة إقامتي في البحرين. ولكن الشيخ محمد عبد الوهاب أصر على رأيه بأن هذه الغرفة غير مناسبة إطلاقاً لضيفه وأنه سيوفر لي مكاناً أفضل منها.

وفعلاً بعد يومين قادني إلى منزل آخر، فارغ تماماً وجيد جداً وقال، بأن هذا البيت تحت تصرفي تماماً، وأنني أستطيع من هذه اللحظة الانتقال إليه. وانتقلت فعلاً إلى هذا البيت وعرفت بعد ذلك فقط، حجم الصعوبات التي تعرض لها الشيخ محمد عبد الوهاب لينقل إقامتي إليه.

البيت الذي سكنته كان قبل ذلك فارغاً ويعود لأحد الفرس، وكان يعمل في وكالة الهند البريطانية للملاحة البخارية **(British India Steam Navigation)**، وقد توجه إليه محمد عبد الوهاب لاستئجار هذا البيت على حسابه لمدة ثلاثة أسابيع، وكان خبر وصول شخص روسي إلى البحرين قد انتشر بسرعة كبيرة. ولم يكن سراً على أحد، أن الشيخ محمد عبد الوهاب يبحث عن سكن لي. وما كان يُظن أن فعله سهل ومن قِبَل أي شخص كان إذ اتضح أنه صعب جداً، بسبب دسائس المندوبين الإنجليز في البحرين. مالك المنزل المذكور تلكأ في أول الأمر في قبول طلب الشيخ محمد عبد الوهاب لاستئجار المنزل، ولم يعط جواباً، ويظهر أنه لم يكن يعرف ردة فعل نائب القنصل الإنجليزي، وفي المساء وبناءً على إصرار الممثل الإنجليزي في البحرين رفض تماماً طلب الشيخ محمد عبد الوهاب لاستئجار ذلك البيت الفارغ، في الوقت الذي لم يكن هناك أي مكان آخر فارغ في البحرين يمكن لأوروبي أن يسكن فيه. ولم يبق أمام

الشيخ محمد عبد الوهاب، إلا أن يبقيني في المكان القديم أو أن يلتجئ إلى طريقة أخرى لإيجاد سكن ملائم لي .

ووجد الشيخ محمد عبد الوهاب حلاً لهذه المشكلة بأن اشترى هذا المنزل وبثمن مضاعف لما دفعه مالكه نفسه عند شرائه .

قبل انتقالي إلى السكن الجديد كان الشيخ محمد عبد الوهاب قد سألني إن كنت أرغب في مقابلة شيخ البحرين الشيخ عيسى ؟ فسألته بدوري عن إمكانية لقائه، . وبرسالة من الشيخ محمد عبد الوهاب إلى الشيخ عيسى تم إبلاغه عن رغبتي في لقائه، ولكني لم أستلم الجواب لافي اليوم الأول ولا في اليوم الثاني ولا في اليوم الثالث، ومن الإشاعات المنتشرة في المدينة، والتي اتضح أنها غير صحيحة، عرفت أن الشيخ عيسى وبناءً على نصيحة نائب القنصل الإنجليزي كان متردداً في استقبالي . وواقعة عدم لقائي مع الشيخ كان مادة للحديث بين سكان البحرين، وأحياناً بشكل يسيء إليَّ كشخص روسي، والإشاعات من النوع الأخير، وكما اتضح لي بعد ذلك تم ترويجها من قِبَل الأشخاص التابعين لنائب القنصل الإنجليزي .

عندها حاول الشيخ عبد الوهاب أن لا يجعل السكان يظنون ما لا يليق بمواطن روسي . وفي اليوم الرابع وتحت إلحاح الشيخ عبد الوهاب، قام الشيخ عيسى بإرسال وزيره إليّ لتبليغ التحية باسم الشيخ عيسى وقال أن الشيخ يسمح بمزاولة نشاطي كله في البحرين .

بعد ذلك توقفت الإشاعات حول موقف الشيخ عيسى تجاه الرحالة الروسي ولكن الشيخ محمد عبد الوهاب لم يقنع بذلك، فصار يحاول تعطيل السيطرة الإنجليزية وتحقيق لقاء لي مع الشيخ عيسى، معتبراً بأن لقائي الشخصي مع الشيخ عيسى، والذي ليس لديه شيء ضد الروس يمكن أن يحدث ثغرة في احتكار النفوذ الإنجليزي، ويسمح للروس الذين سيصلون بعدي بحرية أكبر من تلك التي تعطيها السلطات الإنجليزية .

وقد سهل مهمته أمران :

أ – سفر نائب القنصل الإنجليزي من البحرين .

ب – رسالة التوصية التي أعطاني إياها القنصل العام الروسي في بوشهر أفسيينكو إلى الشيخ عيسى . وبهذا تم لقائي مع الشيخ عيسى . أضف إلى ذلك أن الشيخ عيسى أكرمني كثيراً عند الاستقبال : وقام وزيره باستقبالي في الشارع بعيداً عن القصر، كما استقبلني ابن الشيخ وولي عهده أمام مدخل القصر، وحياني باسم الشيخ وقادني إلى غرفة الاستقبال التي كان فيها الشيخ عيسى، وبعد تبادل كلمات المجاملة المعتادة قدمت لي القهوة العربية ثم بعد ذلك الشاي وتبادلت الحديث مع الشيخ حوالي نصف ساعة بحضور ابنه الأكبر، وخلال الحديث طلب مني الشيخ نقل تحياته إلى القنصل العام الروسي في بوشهر افسيينكو، الذي أرسل رسالة للشيخ معي ، ولدى سؤاله عن موعد سفري قال الشيخ، أنه يريد أن يجهز رسالة إلى القنصل العام الروسي في بوشهر غ.ق. أفسيينكو ويعطيني إياها لتسليمها له . بهذا انتهى لقائي مع الشيخ عيسى . وقد سلمت لي رسالة الشيخ عيسى المعنية بعد ذلك بواسطة الشيخ محمد عبد الوهاب .

خلال زيارتي إلى البحرين طلب محمد عبد الوهاب من شخص يثق به أن يؤدي كل شيء لي يلزمني . وفعلاً كان أي شيء يلزمني يوفرونه لي فوراً وبالسعر الذي يتعامل به السكان المحليون، وليس الأوروبيين . وكان تدخل الشيخ محمد عبد الوهاب الشخصي واضحاً في الكثير من الحالات . وبالمناسبة وبغض النظر عن أن أعماله كانت تجبره على التواجد في دارين، فقد بقي خصيصا من أجل الضيف الروسي في البحرين . وكان يمر عليّ كل يوم، وأحياناً مرتين في اليوم وعندما يزورني كان يسأل دائماً هل كل شيء على ما يرام ؟ .

نظراً للاستقبال غير العادي، والعمل على تسهيل الإجراءات الجمركية وشراء بيت خاص لإقامتي خلال زيارتي لثلاثة أسابيع وتسهيل اللقاء مع الشيخ عيسى، وبغض النظر عن الإجراءات المعاكسة للإنجليز أصحاب النفوذ في البحرين تقريباً والمساعدة التامة التي قدمت لي فإنني واثق، بأنه لم تقدم لي شخصياً، وإنما تقديراً لائقا لتلك الدولة التي أتبعها . أضف إلى ذلك أن هذه المساعدة قدمت لي رغم المعاكسات القوية

من قِبَل السلطات الإنجليزية في الجزيرة والتي لم تسفر، وكما هو واضح مما ذكر – عن أي نتيجة .

هذا الكرم قدم لأول شخص روسي يسكن في البحرين، وأعتبر من واجبي إخبار القنصلية العامة الروسية في الخليج العربي في بوشهر بكل ما ذكر أعلاه .

نيقولا فاسيليفتش بوجويافلينسكي

عضو عامل لدى الجمعية الموسكوبية الإمبراطورية
لمحبي (هواة) العلوم الطبيعية وعلم الإنسان والإثنوجرافيا
والذي أوفد من قِبَل الجمعية
لدراسة عالم الحيوان في الخليج العربي

الرسالة الثانية

إلى القنصلية الروسية الإمبراطورية العامة

بالخليج العربي في مدينة بوشهر

خلال رحلاتي في الخليج العربي طوال شهر مارس وإبريل ومايو من هذا العام قمت بزيارة ثلاثة من شيوخ العرب : في المحمرة (الشيخ خزعل) ، في الكويت (الشيخ مبارك) ، في البحرين (الشيخ عيسى) . وأقمت بعض الوقت في الأماكن المذكورة .

رغم أن مهام رحلتي هذه كانت بعيدة عن أية أهداف سياسية، فإنه من خلال احتكاكي مع مواطني هؤلاء الشيوخ وخلال أحاديثي مع الشيوخ أنفسهم كثيراً ما اضطررت للإجابة على أسئلة كثيرة تتعلق في أغلبها بالمثليات السياسية الروسية في الخليج العربي أكثر من تعلقها بعلماء الحيوان الموفدين إلى هناك .

حيث أن هذه الأسئلة والأحاديث تطرقت إلى ما يهتم الناس به الآن في المناطق التي زرتها . ماذا يريد وكيف يفكر الروسي . وأعتبر أنه من المفيد أن أنقل إلى القنصلية العامة الروسية في الخليج كل شيء عما سمعته وعما أجبت عليه في الأماكن التي زرتها حول هذا الموضوع . وأفضل شيء هو أن أصف تلك الاستقبالات التي جرت لي ومنها يمكن الحكم على نظرة حكام مختلف مناطق الخليج العربي إلى الروس .

في المحمرة

وصلت إلى المحمرة ومعي رسالة توصية من القنصل العام في مدينة بوشهر غ.ف. أفسيينكو . وقام الشيخ خزعل فور استلامه الرسالة بإرسال سكرتيره إليّ وكان قد حل المساء، وذلك لأقيم عنده . وفي اليوم التالي وصل إلى المكان الذي خصص لإقامتي أولاً سكرتير الشيخ، ثم وزيره، وأخيراً الشيخ نفسه وجلس معي حوالي ساعة، وبعد كلمات

المجاملة المعتادة قال الشيخ خزعل أنه صديق كبير للروس، وأن الروس جيران جيدون للعرب، وأنهم دائماً ساعدوا العرب، وأن الشيخ مستعد ليحقق لي كل شيء يلزمني. وعندما خرج الشيخ خزعل أشار سكرتيره إلى تعاطف الشيخ الكبير مع الروس. وأعطى برهاناً على ذلك بأن القصر الجديد الذي بناه الشيخ، كان بمخطط س.ن. سيرومياتنيكوف الروسي، وأن كل الأشياء في هذا القصر جُلِبت من روسيا.

وذهب لطف الشيخ خزعل أبعد من ذلك. فأعطاني جنديين لمرافقتي إلى الكويت حتى قبل الفاو وخمسة عساكر بعد الفاو.

في الكويت

لم أجد عند وصولي إلى الكويت الشيخ في المدينة نفسها. فقد كان في معسكر على مسافة خمس ساعات سفر عن المدينة وقد استقبلني ابنه الشيخ جابر – ولي العهد – بأفضل ما يمكن وجعل إقامتي في القصر وقام من فوره بإعلام والده العجوز بوصولي، فحضر خصيصاً من معسكره للقائي. وإضافة إلى ذلك فإنه عندما أخبرته بأنني سوف أغادر بعد أربعة أيام قام وحضر إليَّ من المعسكر للمرة الثانية خصيصاً لتوديعي.

وقال لي الشيخ مبارك: "إنني أعتبر الروس إخوةً لنا، وإننا مسرورون دائماً بقدومهم إلينا ومستعدون للقيام بكل ما نستطيع القيام به. انقلوا إلى القنصل العام الروسي في بوشهر السيد غ.ف. أوفسيينكو، والذي أعتبره أخاً، السلام ورغبتي في إقامة مراسلات بيننا".

عند الوداع، شكرت الشيخ مبارك على الاهتمام الكبير بي وقلت إنني لا أعرف كيف أعبر عن امتناني على الضيافة الطيبة التي وفرها لي. وأجابني الشيخ على هذا فقال: "افعلوا شيئاً واحداً لي، إذا كان في إمكانكم ذلك، وهو أن تنقلوا إلى الإمبراطور القيصر في بطرسبورج، بأنني صديق للروس وأنني أعتبرهم إخوة لي.

في البحرين

وصلت إلى البحرين ومعي رسالة توصية موجهة إلى الشيخ محمد عبد الوهاب وقد منحني إياها القنصل العام في بوشهر السيد غ.ف.افسيينكو .

وكنت قد تشرفت بإخبار القنصلية العامة في بوشهر في رسالتي الأولى المؤرخة في ١٤ يونيو ١٩٠٢ عن الاستقبال والمعاملة التي لقيتها من الشيخ محمد عبد الوهاب والشيخ عيسى .

والآن أنتقل إلى موضوع آخر وهو المعلومات التي أراد الشيوخ المذكورون أعلاه معرفتها وقبل الكلام عن هذه المواضيع التي اقترحها عليّ الشيوخ . أريد أن أسجل الانطباع الكبير الذي أحدثته مساحة روسيا الهائلة على خريطة الكرة الأرضية التي كانت معي والتي كانت تشغل نصف أوروبا وآسيا ، وطلب الشيخ مبارك عدة مرات مني أن أريه حدود روسيا وإنجلترا وفرنسا . كما كان اندهاش الشيخ محمد عبد الوهاب بعد ذلك أيضاً كبيراً . وكنت قد أريت الخريطة للشيخ مبارك بمناسبة أسئلته حول خط حديد بغداد . وأراد الشيخ أن يعرف الزمن الذي ستستغرقه الرحلة بعد انتهاء الخط الحديدي للسفر من القسطنطينية وحتى البصرة، ومتى سوف ينتهي الخط الحديدي وهل تشترك روسيا في هذا الخط . وعندما قلت أن هناك احتمالاً أن تكون نهاية الخط الحديدي في الكويت ، تنفس الشيخ مبارك بعمق وقال : آمل ألا يحقق الله مثل هذه المصيبة" .

وكذلك سأل الشيخ مبارك كثيراً عن مدة إنشاء خط من روسيا وحتى بندر عباس وعن مكان وقوف السفن الحربية الروسية ، وما هي المدة التي تستطيع خلالها السفن الوصول إلى الكويت من مواقعها الحالية ، فيما لو أعطيت الأوامر من الحكومة الروسية بذلك ، وأين توجد الآن "فرياغ" (طراد روسي من الدرجة الأولى زار منذ فترة قصيرة الخليج العربي) .

بالنسبة لفرياغ يجب الإشارة إلى أنه كوّن انطباعا بشكل غير معقول لدى سكان الشاطئ العربي كله وقد انتشر صيته في تلك المناطق أينما حل . وكانت الأسئلة حول مكان "فرياغ" ولماذا غادر الخليج العربي . وهل يوجد لدى الروس سفن كثيرة مثل "فرياغ" .

هذه الأسئلة كانت تطرح كثيراً ومن كل الجهات .

لقد جرت لقاءات كثيرة في البحرين بيني وبين كل من الشيخ محمد عبد الوهاب وشيخ "دارين" . وكانت إستيضاحاتهما عن روسيا دقيقة، ولم يكن في استطاعتي دائماً الإجابة عليها . وكان الشيخ محمد عبد الوهاب يسألني كثيراً عن السفن الحربية الروسية، ولماذا لا تتواجد السفن الحربية الروسية في الخليج العربي، ولماذا لا يوجد خط سفن تجارية روسية إلى البحرين؛ وطلب مني أن أنقل إلى القنصل الروسي العام في بوشهر الرغبة في أن تمر السفن التجارية على البحرين . وإضافة إلى هذه الأسئلة فقد كان هناك اهتمام بعلاقات روسيا مع تركيا، وبعدد المسلمين الروسيي الجنسية . وهل هناك مسلمون في موسكو. وهل لديهم مسجد ؟ .

حول ما كتبته في رسالتي المؤرخة في ١٤ يونيو عن الشيخ عيسى، فإن الشيخ محمد عبد الوهاب قال لي : "ليس هناك عجب في أن العرب يخافون الإنجليز، فالإنجليز هنا منذ حوالي مائة عام، والكل يعرفهم، وعندهم هنا المدافع والسفن الحربية، وللأسف لا يوجد هنا أوربيون آخرون، يمكن أن يساعدوا العرب . . . ، وأضاف الشيخ محمد عبد الوهاب : لو أن الروس صاروا يصلون إلى هنا لتوقف خوف العرب من الإنجليز بالتدريج .

وفي إحدى المرات، (خلال زياراتي المتعددة كان دائماً يسألني عن روسيا) استوضحني – لماذا أرسل الروس سفينة حربية إلى الخليج العربي – يقصد "فرياغ" . لماذا لم يبقوها هنا دائماً ؟ إن روسيا بعيدة، ولا قوات ولا سفن لها هنا، وإذا ما قام

شيخ ما بعمل ضد الإنجليز، فإن الإنجليز يستطيعون أن يفعلوا أي شيء يريدونه منه . أما الروس فلا يستطيعون تقديم المساعدة له ، حتى لو أرادوا ذلك ، لأن قواتهم بعيدة .

بعد استلام الشيخ محمد عبد الوهاب رسالة القنصل العام الروسي في بوشهر غ.ف. أفسيينكو قال لي : " حتى هذا الوقت لم أكن أعرف الروس ، والآن أعرفك أنت فقط ، ولدي رسالة من قنصلكم . لقد كتب لي عبد الرحمن ، شيخ نجد السابق مادحاً الروس . - كان يعرف الروس من زيارة "فرياغ" إلى الكويت - ، حتى أنه أرسل لي رسالة لأنقلها إلى القنصل الروسي في بوشهر ، ولكني لم أنقل هذه الرسالة لأنني لم أكن أعرف أي روسي ولكن الآن ، أرجو منكم نقل هذه الرسالة إلى القنصل العام الروسي في بوشهر السيد غ.ف. أفسيينكو .

لقد رأيت من كل الاحتكاكات والأحاديث أن هناك على الشاطئ العربي :

أ - تعاطف كبير واحترام تجاه روسيا وكان واضحاً عدم الرضى عن إنجلترا والرغبة العامة في تواجد القوات الحربية الروسية على شكل سفينة حربية في مياه الخليج العربي .

وقد تكون هذه الرغبة تدخلاً أنانياً - حتى لا تكون السلطة كلها لإنجلترا .

ب - سحر روسيا كدولة عظمى كان كبيراً جداً وزاد سحر روسيا هذا زيارة الطراد (المدرعة) الروسي من الفئة الأولى "فرياغ" التي كونت انطباعاً يمكن وصفه بأنه كان خطوة مذهلة للشاطئ العربي كله . إشارة لحجم الطراد ولمداخنه الأربع وأنواره الكهربائية والتي لم تكن موجودة في السفن الحربية البريطانية ، الرابضة في الخليج العربي .

هذه الخطوة هامة برأيي ، حيث أن العرب يعتقدون بأن لدى الروس قوات كبيرة ولكن ليس لديهم سفن حربية بالمرة .

ج - الرغبة العارمة في إقامة علاقات أكثر متانة مع الروس وهذا واضح :

١ - من رغبة الشيخ مبارك، شيخ الكويت، في إقامة علاقات دائمة مع القنصلية العامة الروسية في بوشهر .

٢ - وبشكل مماثل لهذا كانت رغبة الشيخ محمد عبد الوهاب، فمعاملته الحسنة واضحة تجاه الروس عكس موقفه العدائي من الإنجليز في البحرين ومن الأتراك في القطيف .

٣ - من الاقتراحات العديدة للشخصيات المختلفة لتقديم الخدمات الوظيفية للقنصلية الروسية في بوشهر، والتي كانت أحياناً تُظهر وبشكل مباشر الموقف العدائي من السلطات الإنجليزية . ويمكن هنا أن أسوق كمثال (حجازي جمعة في البحرين) . وقد عبر له المستر جاسكين، نائب القنصل الإنجليزي في البحرين عدة مرات وبشكل فاضح عن عدم رضاه على جلساته الخاصة معي .

هذه هي وبخطوط سريعة الأحاديث والاقتراحات التي قيلت لي، كإنسان روسي يتجول في منطقة نادراً ما يزورها الروس هي الشاطئ العربي للخليج .

العضو العامل في الجمعية الإمبراطورية الموسكوبية
لمحبي العلوم الطبيعية والإنتروبولوجية والإتنوجرافية

نيقولا بوجويا فلينسكي

الموفد من قِبَل الجمعية
لدراسة عالم حيوانات إقليم الخليج العربي

الرسالة الثالثة

إلى القنصلية العامة للإمبراطورية الروسية

بالخليج العربي في مدينة بوشهر

إلحاقاً برسالتي القنصلية والمؤرخة في ١٦ يونيو ١٩٠٢ فإنني أعتبر أنه من المفيد كي أنهي شرح علاقة الشيوخ العرب بروسيا، أن أصف حفل الاستقبال الذي أقامه لي سلطان مسقط فيصل بن تركي .

لقد وصلت إلى مسقط وبحوزتي رسالة من القنصل العام الروسي في بوشهر المستر غ.ف. إفسيينكو .

فور تسليم الرسالة قام السلطان بإرسال موظف من طرفه لاستقبالي على السفينة ، وقادني إلى المكان الذي خصصه السلطان لإقامتي . وقد جرى لقائي مع السلطان في نفس اليوم .

استقبلني السلطان في الغرفة الموجودة قبل غرفة الاستقبال، وقادني إلى غرفة الاستقبال وتحدث معي بشكل ودي جداً . وخلال الحديث طلب مني أن أنقل سلامه إلى القنصل الروسي العام في بوشهر غ.ف.أفسيينكو .

خلال إقامتي لمدة أسبوع في مسقط كان السلطان يرسل إليَّ السلام كل يوم بواسطة موظفه . إضافة إلى هذا، كان الموظف يحضر إلى، حسب أوامر السلطان، ثلاث مرات في اليوم، ليعرف، هل كل شيء على ما يرام، وهل أحتاج إلى شيء ما .

وقد حضر الوزير الأول للسلطان إلى مكان إقامتي وطلب مني أن أنقل إلى القنصل الروسي العام في بوشهر السيد غ.ف. أفسيينكو . شعور التعاطف والصداقة التي يكنها السلطان، وهو – أي الوزير – تجاه روسيا .

إضافة إلى ذلك فقد كان يحضر إليَّ أشخاص عديدون يعملون عند السلطان من المستويات المختلفة، الرفيعة، والأخرى . وأحاديث هؤلاء الأشخاص فيما عدا

المجاملات العادية، لم تكن تحوي أي شيء ممتع، ولكن واقعة زيارة هؤلاء الناس لي، تعبر بحد ذاتها عن رغبة السلطان في إبداء الاهتمام بالرحالة الروس وإظهار موقفه الودي تجاه الروس .

عند زيارتي لتوديع السلطان، طلب مني مرة أخرى، وبصرف النظر عن رسالته كسلطان إلى القنصل العام في بوشهر غ.ف. أفسيينكو . نقل سلامه إلى غ.ف. أفسيينكو . وقام السلطان عند التوديع بمرافقتي بالنزول من الطابق الثاني حيث تقع قاعة الاستقبال إلى الطابق الأول ، وأوصلني عبر الممر السفلي حتى ذلك المكان، حيث يتواجد العسكر والحراس الذين يحمون الباب الخارجين وهناك فقط قام بتوديعي نهائياً .

هذا هو الاستقبال الذي أقامه لي آخر الشيوخ العرب، الذين قمت بزيارتهم . وهكذا انتهت إقامتي في مسقط، وبهذا انتهت إقامتي على شاطئ جزيرة العرب .

العضو العامل في اللجنة المسكوبية الإمبراطورية

لمحبي (هواة) العلوم الطبيعية والإنتروبولوجية والإثنوغرافية

نيقولا بوجويافلينسكي

لاهور ٢٠/٧ - ٧ - ١٩٠٢

المصدر : أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية . الملف ١٤٧ القنصلية في بوشهر . السجل ٦٢٣، الملف ٣ - مراسلات القنصلية مع الجمعية الموسكوبية لمحبي (هواة) العلوم الطبيعية والإنتروبولوجية والإثنوغرافية حول بعثة دراسة الحيوانات في الخليج العربي، رسائل ن. بوجويافلينسكي ....١٩٠١ - ١٩٠٢، الصفحات ٩ - ٣٢ . ظهر

دكتوراه العلوم التاريخية
بروفيسور معهد آسيا وإفريقيا
لدى جامعة موسكو .

د. جينادي جورياتشكين